المحاضرة الرابعة :الأنثروبولوجيا المتوسطية

ثالثا / التفاعل الثقافي لحوض البحر المتوسط:

منذ زمن بعيد جدا، منذ 27000 عام، دخل البشر إلى مغارة كوسكير في مارسيليا على البحر المتوسط، رسموا حياتهم على الجدران، رسموا الحيوانات التي كانوا يصطادونها رسموا العالم الطبيعي الذي كان كل حياتهم، ثم تركوا بصماتهم. قبل ان يغادروا. لقد دونوا لنا ارثهم الحضاري والثقافي بكل تفاصيله وحيثياته. ولقد عرفت منطقة البحر الأبيض المتوسط حياة ثقافية مزدهرة ومتنوعة في مواردها وأدواتها مضامينها وأشكالها وذلك جراء توالي وتداول الحضارات المختلفة عليها، حيث نشأت فيها الفلسفة والرياضة، والمسرح، وتطورت فيها العلوم النظرية والتجريبية، وأشكال العمران والنحت، كما تشكلت فيها المدارس الأدبية بمختلف منازعها، وظهرت فيها أجناس وأنواع أدبية جديدة كالرواية والقصة القصيرة والملحمة...والبحر الأبيض المتوسط رمز للإبداع، وللبحث عن معاني الحكمة، الحياة والمحبة الطبيعة. ان هذا البحر بيئة أفرزت أشخاصا متميزين قدموا إسهامات ملحوظة في تطور التاريخ في الفلسفة، والفن، والموسيقى، والأدب، والعلم والتكنولوجيا. وانتشرت حضارات في جميع أنحاء حوض البحر، من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، ومن بلاد ما بين النهرين إلى مصر، ومن الأناضول وطروادة إلى مقدونيا، ومن دويلات المدن اليونانية إلى الحضارة الفينيقية، ومن قرطاج إلى روما، ومن بغداد إلى الأندلس، ومن بيزنطة إلى الإمبراطورية العثمانية ومن الإسكندرية إلى بولونيا، وشكلت قاعدة سليمة لحضارات العالم. ولا يمكن للمرء أن يتصور تاريخ العالم من دون الحضارات المصرية والرومانية والعثمانية.

1. الخصوصية الثقافية للفضاء المتوسطي :

إن الأجناس والحضارات التي عاشت في منطقة المتوسط أبدعت وخلفت إرثا فنيا وعلميا وأدبيا مرموقا وعريقا، مما شكل أداة ربط بين المعارف الإنسانية وتقارب ذهنيات وأفكار شعوب المنطقة في ميادين شتى كالفن والثقافة والسياسة مما أدى إلى إنشاء مفهوم موحد ومحدد لحضارة المنطقة ألا وهو "حضارة البحر الأبيض المتوسط" مما زاد من حرص وقناعة شعوب المنطقة على ضرورة حماية هذا الإرث والتراث المتوسطي الفريد والمميز خاصة التراث الديني الأصيل والذي يجمع بين الديانات السماوية الثلاثة **"الإسلام والمسيحية واليهودية"** وهذا يعتبر كبر دليل تاريخي وقاطع على تعايش الحضارات. فقد وصف المتوسط بأنه منبع النور وكونه ذو طابع حضاري جوهري لتجمع مختلف الحضارات والثقافات فيه وأما عن أكبر وأعظم انجاز ارتبط بالتاريخ الحضاري للمتوسط والذي يمتد إلى التاريخ

المعاصر في استمرارية مبهرة، قلما تحققت من قبل، ألا وهو تأثير العرب المسلمين الذين استطاعوا تحت راية الإسلام أن يحققوا ما أسماه **ماكيندر "الإمبراطورية العالمية الأولى"** في التاريخ، حيث أسقطوا بذلك وحدة المتوسط بمفهومه اللاتيني وحولوا هذا البحر إلى بحيرة عربية شبه خالصة.

تعاقبت على منطقة المتوسط منذ بداية التاريخ عدة حضارات مختلفة، فهذه البقعة من العالم تعتبر أكبر مهدٍ شهد ميلاد أكثر الحضارات عراقة مثل الحضارة الفرعونية، حضارة ما بين الرافدين والحضارة الفينيقية، الحضارة الإغريقية، الحضارة الرومانية، الحضارة العربية الإسلامية، وكذا الحضارة الأوروبية المعاصرة. اذ انها (الحضارات) شكلت نسيجا تاريخيا طبع علاقات شعوب المنطقة بسمات مميزة منها الإيجابية ومنها السلبية". وكذلك "تحتضن الأصول الحضارية للبحر البيض المتوسط الأنبياء والفلاسفة، وصراع قرطاجنة و روما، والقسطنطينية ، والحروب الصليبية. ولا يزال المتوسط يعرف اليوم حضارات تاريخية، حيث يزدهر الإسلام في شرقه و جنوبه.

2. الفنون وأشكال التعبير للدول المتوسطية:

تعتبر الدول المتوسطية تعتبر خزان للتقاليد الشفهية والشعبية المقرونة بالإمبراطوريات الكبرى بدءاً بالفراعنة واليونان والرومان ووصولاً إلى العثمانيين والسلالات الحاكمة بالمغرب والأندلس وتونس والشرق الأوسط. وأسهمت الحروب ودفعات الهجرة والمبادلات التجارية طويلاً في تكوين رؤية ومتخيل الرجل المتوسطي ومتخيله سواء أكان في الشرق أم في الغرب ، في الشمال أم في الجنوب . يمكن أن تحدد بما فيه الكفاية القواسم المشتركة للجهات أو الأقاليم برمتها وللأسطورة أو الحكاية أو الملحمة أو الخرافة دون أن نغفل – بصريح العبارة – الخصوصية اللغوية أو العرقية أو الثقافية للدول المتوسطية. فكل دولة أو منطقة تتمتع بتقاليدها الشفهية والثقافية الخاصة التي تحافظ من خلالها على هويتها وأصالتها.

1. **التقاليد الشفهية في شمال الحوض المتوسطي :**مما لاشك فيه أن التقليدين الإغريقي والكريتي Crétois يعتبران مِنْ أعرق التقاليد وأغناها في شمال حوض البحر الأبيض المتوسط. وتبدو **الملحمة** بمثابة الخاصية الأساسية التي اتسم بها المجتمع الإغريقي القديم. لقد كانت ذات طبيعة موسمية يَنْهَض الشعراء المنشدون بأدائها ونقلها بين الناس. ويتعلق الأمر بنقل **شفهي** دام إلى حدود القرن السَّادس (ق6) أي قبل أنْ يطاله التدوين. حيث مازالت ماثلة في الأثرين الأدبيين الإلياذة ولأوديسا. إذ كانت موضوعاتها المؤثرة تَتَشَكَّل من المفاخر الحربية. وتعتبر

الملحمة الأيونية -**ionienne** التي تُعْزَى إلى هوميروس - ملحمة مركبة، تتنامى فصولها ومقاطعها بالموازاة مع الملحمة.

عرف **اليونان** قديماً **الشعر الغنائي** المصحوب بالموسيقى، و ساد عندهم صِنْفان من الغنائية: الصنف الأول هو عبارة عن نشِيد الجوقة يكثر في الحفلات والأَعياد، ويدعم الوحدة لأنه تعبير عن الفئة الاجتماعية. و الثاني هو بمثابة أغنية مُفْردَة تسود في المجالس الأدبية والبلاطات الملكية، وتعبر عن الروح الفردية الطافحة بالأهواء. والامر الملاحظ أنه توجد – حسب المناطق – فروق واضحة في شكل أَو نمط إبداع الشعر الغنائي ونقله. وَيَتَشَخَّصُ ذلك في الأنماط التعبيرية التالية:

- الغنائية **الأيونية** التي ترتب عليها الرثاء وهي عبارة عَنْ نحيب مصحوب بِنغمات النَّاي للتَّعبير عن آلام الحب.
- الغنائية **الأيْلودية** التي تولدت عَنْهَا ضروب العزف بالقيثارة والأَناشيد الخفيفة.
- الغنائية **الإسبرطية** التي صقلت شكل نشيد الجوقة والغناء.

ان الشعر سواء أكان ملحمياً أم غنائيا – عرف تطوراً ملحوظاً بفضل النشاط الذي كان يضطلع به الشعراء الجوالون الذين كانوا يجمعون بين الغناء والتلحين والموسيقى، وينتمون إلى طبقة العلمانيين وليس إلى رجال الدين. وهكذا، أداموا تقليداً شفهياً لشعر وُجِدَ أساساً لِيُغَنَّى ويُصْحَبَ بالموسيقى. ويُمَكِنُ كذلك أن يُتْلَى ويُنْشَدَ على مسامع الجمهور. تُدْمِجُ أغاني المآثر على وجه الخصوص في معمارها العام حصصاً تامة من الإنشاد. وقبل ظهور الأشعار الغنائية (**الموشحات**) ذات الجذور العربية – الأندلسية، عرفت مختلف الممالك الإسبانية أشعارا عاطفية؛ وهي عبارة عن **دواوين** من الشعر الشعبي التي يصعب تحديد تاريخ ظهورها وفي إطار هذا التقليد الشعري الملحمي تطور **الأدب الحكائي** المستمد غالباً من التقاليد الشفهية **والفلكلورية** المحلية. ويمكن أن نشير في هذا المضمار إلى مآثر الحروب الصليبية والعصور القديمة والروايات الشعبية وأشعار الفروسية للمائدة المستديرة وحكايات الفروسية الصوفية وأَشعار الحكائين.

ينبغي في هذا السياق أن نشير إلى تطور وانتشار شعر المناقب الذي تناقله الشعراء الجوالون. يتميز هذا النوع من الشعر ذي الأبيات القصيرة والمواضيع المناقبية بنبرة غنائية خاصة، ويختلف عن الشعر البطولي .

لوحظ مع بداية الإسلام ظهور ثم ازدهار الأدب المناقبي والملحمي العام. ومع ذلك لا يمنع قطعاً هذا التقليد الديني من ظهور شعر ملحمي يَتَغَنَّى بمآثر الأبطال والمحاربين في سبيل الوطن، ومن بروز شعر غنائي يتعلق في الآن نفسه بالشعر الغزلي ذي الأصل الفارسي وبالشعر الشعبي الذي يستخدم اللغات المحلية. ومن ثمَّ عرف الغناء والموسيقى ونشيد الجوقة تطوراً كبيراً لأن البلاطات الملكية كانت تدعمها وتشجعها.

تضرب أيضاً **الملهاة** بجذورها في الأشكال الأنثروبولوجية المستمدة مِن الشعائر القديمة على نحو شعيرة **باخوس** التي كان يحتفي بها **المزارعون** إبَّان الفراغ مِن الحصاد، إذ كانوا يخلدون إلى الاسترواح والهزل وتبادل النكت والنوادر المستملحة أو المبتذلة. في الجهة الأخرى من بحر الأدرياتيك بإيطاليا.

إن التقليد الشفهي بتركيا (حلقة وصل بين أوروبا وآسيا) قديم جداً؛ إذ ساهم في اقتباس ونشر الأساطير الإغريقية والبابلية والأناضولية وحتى التاتارية. لم يكن الفن الدرامي مُنْتَفِياً في التقليد الفلكلوري التركي. لقد عرف الأتراك **مسرح خيال الظل أو الكراكوز**. واستخدم الإغريق والرومان والصينيون تقنية الدُّمى والعرائس. في باقي الدول ساير هذا المسرح – إن صَحَّ التعبير – الغزوات التركية والمغولية التي استهدفت حوض البحر الأبيض المتوسط. لم يتغير محتوى المسرحيات رغم تضمنه لقسط وفير من النقد الاجتماعي اللاذع الذي تتخلله مسحات سياسية. وإلى جانب شخصية **الكراكوز** تُوجدُ في التقليد التركي شخصية هزلية تحظى هي الأخرى بغرابة الأطوار. وهي شخصية **جحا** الشائعة الصيت في التقاليد الشفهية العربية الإسلامية بالمشرق والمغرب. وأن الشعر الغنائي والغزل نشآ بإيطاليا واليونان، وأن الرواية الشعبية ظهرت في البداية بفرنسا وأن مسرح خيال الظل يشكل التعبير الفني المفضل لدى الأتراك.

2. **التقاليد في جنوب الحوض المتوسطي:** من آسيا الصغرى إلى بلاد الرافدين ومن فينيقيا إلى ضفاف النيل، تنعم المنطقة بضوء الآلهة والأبطال الأسطوريين الذين تتبارى التقاليد الشفهية المحلية والملاحم الوطنية للتعريف بهم. تَتَعَدَّدُ التأثيرات وتكثر

القواسم المشتركة إلى الحد الذي ينبغي فيه استنباط الطبقات المترسبة العديدة للأسطورة والحكاية والشعر الغنائي والملحمة؛ وذلك لفهم وتمثل كل شكل من هذه الأشكال التعبيرية الشعبية.

إن مصر، على سبيل المثال، معروفة بكثرة مقابرها الإلهية، وبآلهتها على نحو (آمون وأنوكيس وهوراس وإزيس وأزريس وسَاتْ Seth) و آلهتها الكونيين (على غرار ري (إله الشمس) ونوت (إلهة السماء) وجيب (إله الأرض)، وبحيواناتها المقدسة (كأبيس الثور المقدس). وإن الأساطير الأخرى –

المتعلقة بأبي الهول وبالعنقاء – قد صمدت عبر الأزمنة. وإن لحقتها التحريفات فهي قد حافظت على أصالتها. تمثل العنقاء بالنسبة للمصريين القدامى رمزاً لدوران الشمس. وهي شديدة الارتباط بمدينة عين الشَّمْس Héliopolis. تدل العنقاء المشخَّصة في شكل بَلَشُون أرجواني على الحياة والتجدد. بالمقابل تُجَسِّد أسطورة أبي الهول – الأسد الإلهي ذا الرأس الفرعوني – التعبير الرمزي عن مصر الخالدة. وبوصف أبي الهول حارساً على مدينة الأموات وعلى المومياوات الملكية، فهو لا يُقْهَرُ في المعركة. و عندما وصل الإسلام إلى البلدان المغاربية انتفت إلى حد كبير الأساطير الإلهية الوثنية المناوئة للعقيدة الإسلامية. ومع ذلك ظلت آثارها الجزئية مبثوثة في شكل شعائر زراعية ورعوية. و إن التقليد الشعري بالمغرب قديمٌ. يتجاذب فيه نموذجان: النموذج الديني الذي هو عبارة عن مجموعة غنية مِن الأشعار المدائح النبوية التي تنشد في الحفلات الدِّينيَّة. النموذج «الدنيوي» الذي يَجْمَعُ بين الشعر الملحمي والشِّعر الغنائي وشعر الكياسة. يمكن لأيّ نوع من هذه الأنواع أن يكون باللغة البربرية (المغرب والجزائر) وباللغة العبرية (المغرب) وباللغة العربية (حسب مختلف اللغات المحلية واللهجات الرائجة في المغرب العربي). يتماشى التعْبير اللغوي مَعَ التقليد الثقافي لِجماعة مُحَدَّدة. وهكذا، نلاحظ في التقليد الشعري العربي (كما هو مشهودٌ به في دول المغرب العربي).

من بين التجليات الشعبية العريقة جداً، نجد الأسطورة، وأسطورة المناقب، والحكاية والنادرة والمثل. وإن ارتبطت الأسطورة وأسطورة المناقب بالمقدس، فإن الحكاية والنادرة يتعلقان بالمُدَنَّس. يكمن الاختلاف بين هذين الجنسين الأخيرين في كون الأول يتضمن مغزى أكثر شموليةً، وبدون شك أكثر رمزيةً من الثاني، وفي كون الأول يَسْتَمِدُّ مواده التخيلية من المخزون الثقافي للجماعة ويُعَبِّر عن معتقداتها ومواقفها وقيمها، في حين أنَّ الثاني هو مُجَرَّد سرد لوقائع حقيقية أو مفترضة ذات مغزى محدود لأنها تَتَعَلَّقُ غالباً بالفرد.

إن الحكاية - الجنس الشامل المفضل في جُلِّ بقاع العالم- هي عبارة عن قصة نثرية خيالية مُتَضَمِّنة لوقائع ومجريات بسيطة أَو عجيبة. يرجع الفضل في دراسة الحكايات الشعبية إلى الأعمال التي اضطلع بها علماء **الفلكلور** ودارسو الأدب المقارن في القرن التاسع عشر(ق19) وتشكل الموضوعات الأسطورية أو الاجتماعية، بالنسبة لعدد لا يستهان به من الدول المتوسطية، قاسماً مشتركاً ونوعاً من الفضاء الخيالي الذي تتقاطع وتتداخل فيه حكايات أشخاص نموذجيين أو وقائع مُنْزَاحة عن المعتاد.

ج - التقليد الشفاهي في الوقت الراهن: مما لا جدال فيه أن الأدب الشَّفهي في ضِفَّتَيْ البحر الأبيض المتوسط ما زال يخضع لتغيرات وتطرأ عليه تطورات. بدأ يَتَخَلَّى عن بعض التَّقاليد والأجناس التي

أصبحت عديمة التأثير، وتستحضر في دوائر معينة أو تظاهرات خاصة فقط (أعياد دينية أو وطنية أو ثقافية). ونذكر منها على سبيل المثال الأسطورة والحكاية و القِصَص وشعر المناقب والشِّعر الملحمي والغزل. بالمقابل، ازدهرت أجناس أخرى من الأدب الشَّفهي أكثر تَكَيُّفاً مع تطور نمط المجتمع العصري، وإن اكتنفتها اختلافاتٌ واضحة كلما انتقلنا من الشمال إلى الجنوب، ومن المدن إلى الأرياف والجبال والصحراء، ومن المركز الحضاري للقطر أو الجهة إلى المناطق القريبة أو البعيدة.

من بين الأجناس الرائجة، يمكن أن نذكر الشعر (بالعامية أو باللغة الوسطى أو الثالثة) والغناء الجماعي والأحجية والمثل والنادرة والرمز. وما يشد الانتباه هو الدور الذي بدأت تضطلع به وسائل الإعلام في استثمار هذه الأجناس من الأدب الشفهي. حيث أصبحت تشكل جزءا من تقنيات التواصل عبر الأثير. أكثر من ذلك أسْهَمَتِ التلفزة في استلهام الحكايات الشفهية لإنجاز الصور المتحركة وتنشيط لعبة الدمى ومسرحيات العرائس. كما أنَّ الإشهار قد استثمر بدوره إمكانات التقليد الشفهي لِبَثِّ وسائل إشهارية (الحكاية والغناء والمثل والرمز وطريقة التعبير). نستحضر تجربة المجموعات الموسيقية (على نحو ناس الغيوان) التي تنبع موادها مِن التقليد الموسيقي والشعري المغربي.

إن الشَّفهية كالثقافة تعتبر قضية العصر والذهنيات والاستراتيجية. فلا يمكن للإنتاجات الثقافية أن تَنْفُدَ. فهي، بالعكس، تتطور مَعَ المجتمعات وأنماط الإنتاج المادية والرَّمزية. لقد سبق للوسائل السَّمعية/البصرية وللوسائط المتعددة أن قَدَّمت آفاقا واعدة للشفهية بوصفها نمطاً تعبيرياً وإبداعاً فنياً مَوجهين للفئات الاجتماعية العريضة سواء في الدول المتوسطية أو في العالم بأسره.

3. الديانات والعبادات في المنطقة المتوسطية:

أ- **العبادات في الديانات القديمة :** ان الغريزة الدينية مشتركة بين الاجناس البشرية حتى اشدها همجية واقربها الى الحياة البدائية... وان الاهتمام الالهي وبما فوق الطبيعة هو احدى النزاعات العالمية الخالدة ، وبقول الفيلسوف الفرنسي هنري جونسون " لقد وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم وفلسفات ، ولكن لم توجد قد جماعة بغير معابد " وخلال المسيرة البشرية للحياة على الارض لم ينفك الانسان في عباداته عن ممارسة شعائر الصلاة والصيام وتقديم الزكاة والوفود في الاماكن المقدسة، ثم اقترب الى الله بتقديم القرابين والنذور تعبيرا عن طاعته واحترامه لآلهتهم.

حاول الانسان جاهدا في جميع طقوسه التعبدية ان يوجد له شعائر نسكية تبعث في نفسه الراحة والاطمئنان ، وتؤمن له العيش بسلام في وسط محيط تحيط به الاخطار من كل جانب، فأمن بعقائد دينية

مبعثها الخوف من الظواهر الطبيعية والحيوانات المفترسة. وبمرور الزمن توسعت مداركه العقلية فانتقل الى مرحلة اخرى في التفكير والمتمثلة (مرحلتي اليوية والطوطمية) ولكن سرعان ما اختفت هاتان المرحلتان وفي لحظات من التعبد عجز الانسان عن تركيز التفكير في عظمة الاله فصنع الالهة الاصنام ليشاهر فيها بالبصر ما عجزت عن ما هدته البصيرة .

1- **العبادات في الديانة المصرية**: لم يكن للمصرين (دين كتاب) كما هو الحال في الاديان السماوية ويدور محور عباداتهم حو الالهة وطقوسها، وما يقام لا من احتفالات، ومن تقديم القرابين والنذور. وان ديانة المصريين القدماء كانت تتأثر بالأحداث السياسية في البلاد، وان فكرة تعدد الآلهة سيطرت عليهم.

2- **العبادات في الديانة العراقية** : عبد العراقيون القدامة الهة كثيرة واعطوها صفات القدس الالهي وهي الشعور بان له القوة الخارقة و السيطرة الابدية وجسدوا الهتهم بصور البشر والحيون وصوروا لها بيوتا تعيش في السماء ثم أسكنوها المعبد، وابرز آهتهم المعبودة (آنو) آلهة السماء، (أنيل) سيد الريح العاصفة و(أيا) سيد الأرض... ولعل اهم طقس تعبدي لديهم هو محاورة الآلهة ثم اقامة الصلوات والأعياد وتقديم القرابين على اختلافها ، وعرف الصيام عندهم باسم (شيتو) كان نقلا وليس فرضا ملزما فكانوا يصومون ثلاثين يوما عدد ما تقطعه الشمس في كل برج من بروجها ويفطرون على غير اللحوم من الالبان النباتات الا ماحلال منها .

3- **العبادات في الديانة اليونانية القديمة:** طقوسهم وعباداتهم مستوحاة من خيال وأساطير تجمعت بداخلها أفكار بشرية وان طغت عليها المسحة الفلسفية ، مفعمة بالسحر والشعوذة وتعرف الديانة اليونانية بأنها مجموعة شعائر تعبدية من مزيج من فلسفة الأساطير القديمة ، ونتاجات الفكر البشري. ونظرا لدخول الفلسفة في تفسير مظاهرهم الدينية لم تبرز بوضوح طرق عباداتهم. وأبرز آلهتهم المعبودة (زووس) الذي قدموا اليه القرابين والنذور وأدوا له الصلاة المصحوبة بأصوات الناي والقيثارة والطبلة. ويمثل عندهم الصيام شعيرة الامتناع والحرمان الممزوجة بتعاليم مبهمة وضعها الكهان .أما الحج عندهم هو القصد الى أحد نصب آلهتهم المنتشرة في مدنهم بغية ارضائها وطلبا لترحمها في حفظهم من المكاره وجلبا للخير العام.

4- **العبادات في الديانة الرومانية القديمة :** يدور محور العبادات عند الرومانيين حول الالهم والمعبد، وما يرافقها من شعائر اصبحت بمرور الزمن ذات قدسية مطلقة. اذا حاولوا التوفيق ما ورثوه من اليونانيين وطقوسهم المحلية وما جلبه الوافدون اليهم من مراسيم دينية ، فعبدوا آلهة كثيرة ، الى جانب

الآلهة عبد الرومانيون ملوكهم وأبطالهم وأمرائهم بعد ان اتخذوا هؤلاء جميعا لهم رموزا الاهية ، والطابع المميز للعبادة هو الجمع (فالصلاة والذبيحة هما شيآن متلازمان) وأشهر آلهتهم المعبودة (ميثرا) الوافدة من ايران والإله (جوبيتر) إله السماء الصامتة والإله (جينوس) الذي يرعى الإنسان من ولادته إلى موته ..الخ وكثرة الآلهة المعبودة سبب لهم إرباكا مما اضطر إمبراطور قسطنطين أن يسمح بفتح روما للمبشرين المسيحين . أما فرض الصيام فهو مزيج من شعائر يونانية وهندية تجد في الجوع وعذاب الجسد ملجأ للتخلص من الخطايا والذنوب وصيامهم شبيه بصيام اليونانيين.

5- **العبادة عند النصرانيين القدماء**: اتسمت بعبادة مظاهر الطبيعة المتجلية بوضوح في قرص

الشمس الذي عدوه صديقا شعب مصر. وانتشرت التصورات حول ماهية الالهة وطريقة عبادتها وما أحاط بها من نسيج خيال الكهنة وتنبؤات العرافين الذين حاولوا ان يسبغوا على طقوسهم التعبدية الطلاسم والرموز المبهمة خاصة السحرية مها .ولقد تأثرت الديانة المصرية بالأحداث السياسية

6- **العبادة في الديانة ليونانية**: عرفت انها مجموعة من شعائر تعبدية من مزيج من فلسفة الاساطير القديمة ونتاجات الفكر البشري المفعمة بالسحر والشعوذة .ولقد تأثرت عباداتهم بمظاهر الطبيعة والخوف والرهبة منها كما قدموا الحيوانات شانهم شان الامم الخرى بل انهم عبدوا الجماد ومزجوا عبادتهم بطلاسم السحر والتخريف ويدل على ذلك المكتشفات الاثرية في جزية كريت .

لقد صور **اليونان** آلهتهم على شكل تماثيل في أول الأمر ثم ظهرت في مرحلة لاحقة العبادة الطوطمية التي تتجسد في المعبودات المادية التي يحترمها البدائيون لاعتقادهم بوجود علاقة خاصة بتلك الماديات تمنحهم منافع ومن هنا جاءت عبادتهم للأشجار والافاعي، فنقشوا صورها على قرني ثور الذي كان أحد رموز الآلهة . وأبرز آلهتهم المعبودة هي الآلهة النثى لأنها تمثل في نظرهم رمزا للإخصاب والعطاء وأشهر ألهتهم (زوس) الذي قدموا اليه القرابين والنذور وأدوا له الصلاة بأصوات الناي والقيثار والطبل

ب- العبادات في الديانات القديمة :

1. **العبادات في الديانة اليهودية:** ان الدين اليهودي دين سماوي، وعقيدتهم عقيدة إلهية مقدسة، إذ أنزل الله سبحانه وتعالى (التوراة) على سيدنا موسى عليه اللام وفيها اقرار بوحدانية الخالق والاعتراف باليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب ، ان دقوس العبادة اليهودية لم تثبت على حال معين بل تطورت الى جنب تطور العقائد. فنظرتهم للآلهة تأثرت عبر تاريخهم الطويل بالأقوام التي عايشوها فاقتبسوا منها الكثير من العقائد ، وتختلف الفراض الدينية باختلاف فرقهم ، سواء كانت تلك الفرائض مكتوبة أو مروية

اما اليهود فانهم يؤمنون بكتاب آخر جاءهم مرويا متواترا الا وهو **التلمـوذ** . كان الدعاء عند اليهود قرين بالصلاة ، ان لم يكن هي بالذات فصاغو أدعية مزجوها بصلاتهم وسموها (الخزانة) وصاغوا لها ألحانا عديدة فاجتمعوا على تلاوتها حتى يميزوها عن الصلاة. ويرى ابن كثير أن صيامهم من العتمة الى العتمة وإذا ما صلى أحدهم ونام صام عن الطعام والشراب والنساء، ويرغب في ايام الصوم إخراج الصدقات للفقراء والمساكين وطعامهم العشاء التقليدي. وكان الصوم يقترن بالصلاة ، ويكاد يتفق اليهود جميعا على اداء فريضة الحج الى (البيت المقدس، والحج الى البيت المقدس يسمى (الزيارة Reyiah) واقتبس اليهود هذا التقليد من الكنعانيين. ولقد ادوا الحج بمناهج متغيرة الإطار وإن اتفقت من ناحية المضمون وهو التعظيم- فعمدوا إلى زيارة الاماكن المرتفعة كتذكار لذبيحة الرب ، ثم انتقلوا إلى الاهتمام بقبور أوليائهم متأثرين في ذلك بالأقوام الوثنية التي عاصروها. وانتهى بهم المطاف في الوقت الحاضر في التوجه الى (حائط المبكة) .

2- **العبادات في الديانة المسيحية:** امتازت الديانة المسيحية بانها ذات أصول شرقية مستمدة خصائصها من البيئة اليهودية التي ولدت بين احضانها والتي سرعان فانتفضت عنها لتعلن ولادة دين جديد بعيد كل البعد عن الفكر اليهودي، بل هو نقيض له في العقائد الاساسية. وبرزت نقل المسيحية من التثليث، ومن جعل عيسى عليه السلام إلها وان رسالته عامة، وانه ابن له قد ضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر وأنه عاد بعد صلبه إلى السماء ليجلس على يمين أبيه ليحاسب البشر. وكانوا يقيمون صلاة الصباح لأنها تمثل اكتشاف الحياة من جديد أو قيامه من عالم الاموات (النوم) اما صلاة المساء فكانوا يؤدونها قبل أن يأوون الى فراشهم، وفيها يشكرون الله ويستغفرون لذنوب النهار . ومن آداب الصلاة وحضور القداس لديهم ، طهارة النفس ونظافة الجسم والامتناع عن الاكل لفترة بسيطة، وتنحصر خدمة القداس في الكهنة باختلاف درجاتهم (الاسقف القسيس، الشماس، الكاهن) ويستخدمون في قداسهم ادوات عديدة منها المائدة والغطا والكاسين والطبلتين والرباط والمنديل وآنية وكواكب. والاسفنجة والملعقة وبيت القربان والصليب والمروحتين والمبخرة وقد تضاف اليها ادوات اخرى . ولكل اذاة رموز تستخدم من اجلها . ويربط المسيحيون فعل الصدقة وأثرها بإيمانهم بالمسيح وحسب مراتبه في نفوس المصدقين به ، وهي من عموميات الرسائل السماوية التي تنادي بالإحسان والتصدق على الفقراء . أما الصوم كما تدل عليه الاناجيل كان طوعيا أيام المسيح عليه السلام ومن مظاهره عندهم دعن الرأس وغسل الوجه كرد فعل لما كان يفعله اليهود في صيامهم من نثر الرماد على الرؤوس وعدم غسل الجسم والملابس . واتخذوا من

قبور أوليائهم مزارا يشد إليه الرحال فعمروها وجملوها، واصبح مفهوم الحج لديهم يأخذ طابع الزيارة ، ولكن سرعان ما اهتم المسيحيون بزيارة فلسطين مهبط المسيح .

3- العبادات في الدين الإسلامي : أمر الله تعالى جميع خلقة بعبادته، فيعق رسله ليبثوا دعوته للعبادة وبيان نوع العبادة ومراتبها ، فكان الانبياء اول العابدين له. وتكاملت الرسالات السماوية برسالة الإسلام ، التي اخذ عهدها الاول من نبيي الله (آدم) ومن خصائص العبادة الإسلامية تنوعها وامتزاجها بجميع جوانب الحياة مرتكزة على الايمان بالله تعالى وبرسوله الكريم. والصلاة فيها توجه لله وخشوع حقيقي له وهي ركن من أركان الإسلام ومنكرها كافر وهي من دعائم الإيمان وهي أنواع – صلاة الجمعة، صلاة العيدين ، صلاة الكسوف، صلاة الاستسقاء، صلاة الخوف، صلاة المسافر، صلاة الاستخارة، صلاة الجنازة ، صلاة المريض، صلاة التوبة، صلاة الحاجة ... أما الزكاة فهي طهارة للنفس من رذيلة البخل ولها شروط (النية، تأديتها وقت الوجوب، التعجيل بأدائها) كما فرض الله الصيام بنص الكتاب والسنة ، وقد فرض الصيام ليلة الاثنين في الثاني من شعبان في السنة الثانية من الهجرة. وهو ركن من اركان الاسلام وان منكره كافر وتاركه آثم. وعرف الحج بانه قصد مكة لأداء عبادة الطواف ، والسعي والوقوف بعرفة وسائر المناسك استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته. فيه الطواف بالكعبة والسعي بين الصفا والمروة والوقوف في نهار التاسع من ذي الحجة ويليها في الاهمية رمي الحجار والمبيت بـ **منى** والذبح . ان كثيرا من اعمال الحج كانت معرفو عند الجاهليين ، اذ توارثوها غن آل ابراهيم، ولكنهم ادخلوا الشرك في تلك الشعائر.

ج- **عادات ومعتقدات الشعوب المتوسطية:** من آسيا الصغرى إلى بلاد الرافدين ومن فينيقيا إلى ضفاف النيل، تنعم المنطقة بضوء الآلهة والأبطال الأسطوريين الذين تتبارى التقاليد الشفهية المحلية والملاحم الوطنية للتعريف بهم. تَتَعَدَّدُ التأثيرات وتكثر القواسم المشتركة إلى الحد الذي ينبغي فيه استنباط الطبقات المترسبة العديدة للأسطورة والحكاية والشعر الغنائي والملحمة؛ وذلك لفهم وتمثل كل شكل من هذه الأشكال التعبيرية الشعبية.

يمكن أن نذكر الملاحم التركية، والتركية / التترية أو التركية / المغولية، والمصرية، وملاحم بلاد الرافدين. إن الآلهة الساميين على نحو بعل وبليت وحداد، والأحجار المقدسة كبتيل أو بنبين، والأساطير المرتبطة بالفَرَس (الملحمة التركية والقرغيزية) وبالتَمِّ (بآسيا الوسطى) وبالتمساح والعقاب (بمصر) والأساطير المتعلقة بلوط (حفيد ابراهيم) وبآطالي وبملكة جودا Juda أو أخناتون وبملك مصر، تحيل في نهاية المطاف إلى البنيات الذهنية والمعرفية لشعوب حوض البحر الأبيض المتوسط.

إن مصر، على سبيل المثال، معروفة بكثرة مقابرها الإلهية، وبعظمة آلهتها المحليين (على نحو آمون وأنوكيس وهوراس وإيزيس وأزريس وسَاتْ Seth) و آلهتها الكونيين (على غرار ري (إله الشمس) ونوت (إلهة السماء) وجيب (إله الأرض)، وبأنصاف – آلهتها، وبِجِنّها، وبحيواناتها المقدسة (كأبيس الثور المقدس). توجد من بين الأساطير المصرية القديمة الثرَّة، أسطورة أوزريس المنتشرة في جل بقاع العالم. لم تحظ بالتدوين في أي مكان، ولا نجد لها أثراً في نقوش المعابد والمسلاّت والقبور. ومع ذلك تتم دائماً الإشارة إليها. يقدم كتاب الأهرام معلومات دقيقة عنها تنضاف إلى المدائح العشائرية المنقوشة على مسلة بمتحف اللوفر. و تقدم الحكايات المتعلقة بالموت والاعتراف والروح والعدالة في كتاب الأموات معلومات حَوْلَ نشأة الكون في مصر القديمة. ولما حل الإسلام بهذا البلد، بدأت تسود الأساطير الدينية والحكايات العجيبة، والخرافات، والحكايات الهزلية المتعلقة خاصة بجحا، والنوادر والملح. و لقد ساهم مسرح خيال الظل والشعر الغنائي والنشيد في ترسيخ هذا التقليد الشفهي. وعندما وصل الإسلام إلى البلدان المغاربية انتفت إلى حد كبير الأساطير الإلهية الوثنية المناوئة للعقيدة الإسلامية. ومع ذلك ظلت آثارها الجزئية مبثوثة في شكل شعائر زراعية ورعوية، أو بوصفها عناصر الاعتراف الثقافي ببعض الشعائر الدينية والاجتماعية: على نحو عيد الأَضْحى وعيد الفطر و العقيقة والزواج.

د- التراث المشترك للمتوسط: التراث المتوسطي، قصة سفر لا يمثل البحر فقط بل هو أيضا، اليابسة التي تحيط به. كما يشكل نقطة تقاطع بين مختلف الثقافات والحضارات، وينبع عبرها إرث مشترك بين شعوبها. و أن التراث الشفهي له، أيضا، مكانته في الموضوع، حيث إن الكثير من الرحل سردوا ما رأوه بأم أعينهم ولم يكتبوا عنه. وبالمقابل هناك من الفنانين التشكيليين من خلدوا ذكرياتهم برسومات، مستلهمين من ضوء البحر المتوسط الذي سمي بالأبيض، نسبة للنور الذي ينعكس عليه، علاوة على بروز تيار فني جديد، وهو التيار الاستشراق.

خلاصة القول ليس خطأ أن نجزم -إذا اعتمدنا على مفاهيم ذات شحنة قوية- أن الملحمة تطبع أكثر آسيا الصغرى وبلاد الرافدين وفينيقيا، وأن النصوص الأسطورية تميّز مصر القديمة من الفراعنة إلى الفاطميين وحتى إلى العثمانيين، وأن الشعر العاطفي والغنائي مرتبط بالشرق الأوسط، وأن الغزل المتأثر بالطابع الأندلسي والغناء/الشعر والغناء الجماعي سواء أكان مصحوباً بالموسيقى أم لا هي فنون متأصلة في الدول المغاربية. وذلك دون إغفال أنه توجد ثلاثة تقاليد شفهية وفلكلورية تتعايش بدول المغرب العربي في انسجام وهي التقليد العربي والتقليد اليهودي المحلي والأندلسي والتقليد البربري الأكثر عراقة من سابِقيْه. توجد كثير من نقط الائتلاف بين التقاليد الثلاثة. ولا ينبغي إغفال التأثير الذي خَلَّفه التقليد

الشفهي الإفريقي بجنوب الصحراء. ومن بين التجليات الشعبية العريقة جداً، نجد الأسطورة، وأسطورة المناقب، والحكاية والنادرة والمثل. وإن ارتبطت الأسطورة وأسطورة المناقب بالمقدس، فإن الحكاية والنادرة يتعلقان بالمُدَنَّس. يكمن الاختلاف بين هذين الجنسين الأخيرين في كون الأول يتضمن مغزى أكثر شموليةً، وبدون شك أكثر رمزيةً من الثاني، وفي كون الأول يَسْتَمِدُّ مواده التخيلية من المخزون الثقافي للجماعة ويُعَبِّر عن معتقداتها ومواقفها وقيمها، في حين أنَّ الثاني هو مُجَرَّد سرد لوقائع حقيقية أو مفترضة ذات مغزى محدود لأنها تَتَعَلَّقُ غالباً بالفرد.

عبلة علاوة